الأسرة المسيحية
أيقونة الثالوث

القمص تادرس يعقوب ملطى

الأسرة المسيحية أيقونة الثالوث

"ساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً" (٢ مل ١٧ : ١٥)

و لا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا لاني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم (مت ٣ : ٩)

فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة و لا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أبا لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم (لو ٣ : ٨)

"أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلي كلكم" (مز ٨٢ : ٦)

الإيمان الثالوثي وحياتنا اليومية

للإيمان دور أساسي في عبادتنا وعلى مفاهيمها واشتياقاتنا وفي سلوكنا.

للإيمان الثالوثي أثره على كل الحياة البشرية، إذ لا نستطيع أن نفصل الإيمان عن حياتنا اليومية.

١. مثال حيّ للحب الحقيقي

يجب أن نميز بين الوحدانية التي تقوم على الإيمان الثالوثي والوحدانية المطلقة التي قامت في مواجهة تعدد الآلهة. فالإيمان بتعدد الآلهة تأسس غالبًا على الصراع بين هذه الآلهة، مما كان له أثره على حياة الإنسان الداخلية، حيث يجد الإنسان في الصراع نموذجًا لحياته؛ فيمارسه الإنسان ليس فقط ضد الآخرين، وإنما حتى ضد نفسه. فالوحدانية كانت لازمة لفهم العهد القديم حسنًا لمنع الناس من السقوط في تعدد الآلهة. لكن إن فهمنا الوحدانية خارج الإيمان الثالوثي نظن في الله كائنًا جامدًا هائلاً ومخيفًا، ذا سمات مطلقة، يخلق هذا الإيمان نوعًا من "**الفردية والانعزالية**"، إذ يتطلع المؤمن إلى الله كمثال له، فيراه الوحيد الذي لا يُدنى منه، كمن هو معتزل في سمواته، لا تقوم فيه أية حركة. أما الإيمان بالوحدانية خلال سرّ التثليث فيقدم نموذجًا إلهيًا للمؤمنين عن "وحدة الحب". فيحثنا على ممارسة الحب على اثر خطوات الثالوث القدوس وخلال عمله فينا.

٢. مثال حيّ للكمال

كل مؤمن يشتهي أن يتمثل باللَّه إلهه. الإيمان باللَّه الواحد المطلق في صفاته، علامة كماله نقص كل الكائنات الأخرى. أما الإيمان بالثالوث الأزلي فيهبنا فهمًا متسعًا للكمال إذ يتساءل البعض: كيف يمكن أن يكون الآب كاملاً في سماته وهو لا ينفصل عن الابن والروح القدس (أي يشاركانه سماته)؟ ونفس الأمر بالنسبة للابن والروح القدس. نجيب على هذا التساؤل بأن الكمال الحقيقي لا يُستعلن خلال الاكتفاء الذاتي والانعزالي، وإنما خلال حركة الحب الأزلية في الله والعلاقات المتبادلة اللانهائية. ففيه كمال الآب المطلق يشاركه فيه الابن والروح القدس، لأنهما واحد معه. هكذا الإيمان بالثالوث يوحي لنا بروح الشركة والحب. فالكامل يتمتع بكماله خلال الآخرين.

يبلغ الإنسان (والحياة البشرية) الكمال لا بتمجيد الإنسان ذاته ولا باكتفائه بذاته، وإنما خلال الوحدة مع الغير، القائمة على الحب. الإنسان الكامل ليس هو من يغذى الذات ego من أجل اقتناء مجدٍ باطلٍ ونفعٍ لحسابه، بل هو ذاك الذي يحب الغير ويقبل حبهم له.

عقيدة الثالوث تقدم صورة حيّة ومثالاً فريدًا للحياة الديمقراطية المملوءة بالشركة، فلا يطلب المؤمن ما لنفسه على حساب الغير، بل ما للغير كأنه له. غالبًا ما يسند الإيمان باللَّه الواحد المطلق النظام الفردي الدكتاتوري، أما المسيحية بإيمانها بالثالوث الكامل فتسند الحياة الديمقراطية الصادقة.

٣. مثال حيّ للأبوة والبنوة

في هذا السرّ نتعرف على "الأبوة والبنوة" في معانيهما اللانهائية. فالآب يلد الابن كما يولد النور من النور، مقدمًا له ذات جوهره. هذه العلاقة الفريدة لا يمكن أن توجد خارج الله، أقصد أن للآب والابن جوهر واحد بسيط. خلال هذه العلاقة نتمتع بالتبني لله، إذ نقبل الآب أبانا باتحادنا معه في ابنه الوحيد. خلال هذا السرّ لا تحصر علاقتنا بالله في دائرة ضيقة كعبيد مع سيدهم، إنما يقبلنا أولادًا له (رو ٨: ١٥-٢٣، أف ١:٥).

في العهد القديم لم يكن المؤمنون قادرين على قبول الإيمان الثالوثي الذي يؤكد الوحدانية الحقة. كان لهذا النقص أثره على عبادتهم، إذ تطلعوا إلى الله ككائنٍ لا يدنى منه، يعبدونه خشية أن يغضب عليهم. أما في العهد الجديد إذ قبل المؤمنون الإيمان الثالوثي تعرفوا على الله الذي يعلن حبه باحتضانه للبشرية واجتذابهم إلى الحضن الأبوي لينعموا بأسراره ويشاركونه أمجاده. لم يعد البشر مجرد آلات تخدم الله بطريقة آلية، إنما هم أبناء محبوبون يتمتعون بالأسرار الإلهية.

خلال هذه العلاقة الجديدة نتمتع بحركة حب إلهي لا تتوقف، مترجين لا أن ننال عطايا الله في هذا العالم الحاضر أو الدهر الآتي، بل نقتنى الله نفسه، نرث أحضانه كمسكنٍ أبديٍ لنا. بمعنى آخر يحول الإيمان الثالوثي علاقتنا بالله من علاقة منفعة ذاتية إلى شركة حب متبادل.

٣. مثال حيّ للعلاقات الأسرية

للإيمان الثالوثي آثره حتى على حياتنا الاجتماعية، فإذا اخترنا الزواج نترجى في الأسرة أن تكون أيقونة المحبة الثالوثية، يجد مسرته في مسرة الغير، ويعمل كعضوٍ في الجسد لأجل بنيان الأسرة كلها. بهذا المنظار ماذا تكون الأسرة سوى وحدة حب حقيقي، فيها يشتاق كل عضو أن يعطى لا أن يأخذ؟! من جانب آخر إن اخترنا الحياة الديرية نقدم قلبًا مفتوحًا نحو الكنيسة كلها بل ونحو العالم أجمع، هذا ما نعلنه خلال سجداتنا (مطانياتنا) المستمرة وصلواتنا الدائمة من أجل كل البشر!